جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة: الثانية

مادة: الادب الإسلامي

محاضرة: الإسلام والشعر

مدرس المادة: م.م. زبيدة ماهر صالح

المحاضرة: الثانية

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

أ- القرآن الكريم والشعر: تحدث الباحثون كثيراً عن وضع الشعر في العصر الإسلامي وفي عصر النبوة بصورة خاصة، فرأوا أن الإسلام وقف موقفاً غير مشجع، أو أنه موقف متعنت من الشعر والشعراء. وبنوا على هذا نتيجة أسموها ضعف الشعر، لأن الإسلام في نظرهم قد هجا الشعر، وحط من شان الشعراء في القران الكريم. وبالغ اخرون بان عدوا الإسلام مناصباً للشعراء العداء . كل هذه الأقوال تقتضي الوقوف بشكل مفصل عند الآيات الكريمة التي تخص الشعر والشعراء والأحاديث النبوية الشريفة بشانهما لقد اتهم المشركون الرسول (ﷺ) بأنه شاعر، لأنهم ما أرادوا الإيمان به نبياً ورسولاً يوحى اليه، فنفت الآية الكريمة ادعاءهم بقوله تعالى: ((وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ)) [يس: ٦٩].و قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء: ٥]. وقد أعلن الجاحظ باستنتاج منطقي رائع عدم تحريم الشعر أو تهجينه بقوله: (فإذا وجب أن الكلام غير محرم فإنّ وزنه وتقفيته. لا يوجبان تحريما) (٣).

أن تنزيه الآيات الكريمة الرسول (صل الله عليه وسلم) عن أن يكون شاعراً جعل السيوطي يعدد جملة أسباب :

١ - أن للشعر شرائط ولا يسمى الإنسان بغيرها شاعراً، وذلك إن انساناً لو عمل كلاماً مستقيماً موزونا، يتعدى فيه الصدق من غير أن يفرط، أو يتعدى أو يمين، أو يأتي باشياء لا يمكن كونها سبة، لما سماه الناس شاعراً. وقد قال بعض العقلاء وقد سئل عن الشاعر فقال : إن هزل أضحك، وإن جد كذب. فالشاعر بين كذب وإضحاك، واذا كان كذلك فقد نزه الله نبيه له عن هاتين الخصلتين، وعن كل امر دنى. (٤) الشعر في صدر الإسلام

٢- إنا لانكاد نرى شاعراً إلا مادحاً ضارعاً اوهاجياً ذا قذع. وهذه أوصاف لا تصلح لنبي، فإن قال : (فقد يكون في الشعر الحكمة، كما قال رسول الله (ﷺ) (إن من البيان لسحرا وأن من الشعر لحكمة أو قال الحكما).

ومعنى اخر في تنزيهه له عن قول الشعر أن أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع إلا أن صناعة الايقاع تقسم الزمان بالنغم، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف المسموعة. فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع، والإيقاع بالحروف ضرب من الملاهي لم يصلح الرسول الله .

وقد حاول بعض الباحثين تعليل سبب تنزيه الرسول (ﷺ) عن أن يكون شاعراً بانه بسبب كون العرب – وشأنهم في ذلك شأن الشعوب الأخرى – في نظرتهم إلى الأدباء والفنانين كانوا يظنون بعقول الشعراء، فيعتقدون أحياناً أن بهم ما يشبه الجنون، ولهذا قال الله تعالى على لسان المشركين: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا عَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ [الصافات: ٣٦]. أو أن بعض الشياطين يوحون اليهم بما يجرى على السنتهم من شعر. ومن المعروف كذلك ان كثيراً من الشعراء قبل الإسلام قد عرفوا بمسلك خلقي يتسم بكثير من الإسراف واللهو والإقبال على الملذات المادية من خمر وميسر وغير ذلك. ورأى باحث اخر متبنياً رأي السيوطي السابق بأن سبب تنزيه الرسول (ﷺ) عن الشعر لكون الشعراء معروفين منذ القدم بالغلو والكذب، وفي تجاوزهم الحق في المديح في استخدامهم القول اللاذع في الهجاء، وأنهم منذ القدم يتعرضون لأعراض الناس وحرماتهم، وذلك لا يليق بالرسول .

ان النظرة الشاملة إلى شعر ما قبل الإسلام تجعلنا نقول إن الشعراء ما كانوا جميعاً بمثل هذه الصورة التي يرسمها مؤرخو الأدب، لينزه عنها الرسول ﷺ، فللشعر مكانته الكبيرة عند العرب، وللشعراء مكانتهم المرموقة مادحين مبالغين، أو هجائين مفحشين وسنجد هذه المكانة بشكل واضح وموجه من خلال علاقاتهم بالرسول (صل الله عليه وسلم)إن تنزيه الرسول له عن الشعر متأت من إدعاء الشعراء انفسهم بأمور غيبية تلهمهم الشعر، أو لم يدعوا أن لكل شاعر جنياً يلهمه الشعر ؟ حتى اذا كثر عدد الشعراء وكثر عدد الجن الذين يوحون لهم بالشعر، راحوا يبحثون في مخيلتهم عن مكان يأوي اليه جن الشعراء ويستوطنونه فاخترعوا وادي عبقر) الذي نسب إليه فيما بعد كل شي فائق الجمال والصنعة، وكأنه من صنع الجن لا البشر وادعى الكهان والسحرة بان لكل واحد منهم رئياً يوحي له بالقول، ويعلمه الغيب اذا احتكمت العرب اليه.

إن تنزيه الله سبحانه وتعالى الرسول الله من أن يكون شاعراً، مثل تنزيهه تعالى للرسول من ان يكون ساحراً أو كاهناً. القران الكريم كلام الله الذي أنزله على النبي ﷺ وهو لا يشبه أي ضرب من ضروب الإبداع البشرى، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) [النجم : ٤] (٨) فنفي الشعر والشاعرية عنه توكيد للوحي والنبوة، وكون القرآن الكريم ليس كلام بشر، وإنما هو وحي من الله تعالى. مع كل محاولات التعليل هذه لا يمكن ان نفهم من الآيات الكريمة السابقة حطاً من شأن الشعر والشعراء، اونظرة فيها احتقار وسخرية لكونها نزهت الرسالة السماوية أن تكون نمطا من أنماط الإبداع الأدبي البشري، وما الإبداع الذى بهر العرب آنذاك إلا شعر الشعراء وطلاسم السحرة والكهان وقد بين ابن رشيق هذا الموقف حين رفض أن تكون هذه الآيات حطاً لمكانة الشعر أو الشعراء، والتفت التفاتة ذكية حين قال : (ولو أن كون النبي غير شاعر غضاً من الشعر

لكانت اميته غضاً من الكتابة) . وقد نفى الله سبحانه وتعالى عن النبي معرفته الكتابة لئلا يتهم بقراءة كتب الأولين، ولتثبيت حقيقة النبوة، وكونها وحياً يوحي من الله تعالى. أما قوله تعالى: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧].

لقد فهم المفسرون الأوائل أن المقصود من هذه الآيات الكريمة نوع معين من الشعراء الذين يذهبون كالهائم على وجهه من غير قصد جائراً عن الحق وطريق الرشاد وقصد السبيل، فهم يقولون مالا يفعلون، بينما استثنت الآيات الكريمة الشعراء الذين يذكرون الله كثيراً، وينتصرون ممن هجا المسلمين من المشركين . إنه موقف الإسلام بشكل عام، يدعو الناس إلى التفكير، والتدبر، وتقسيمهم على مؤمن وكافر حيث اقترن العمل الصالح بالإيمان في آيات القرآن الكريم كلها: فالذين امنوا وعملوا الصالحات سيكون جزاؤهم الثواب، والجنة. وشأن الشعراء في هذه النظرة شأن البشر جميعاً إذا كانوا ضعيفي الإيمان يدعون الناس إلى الغواية، فمصيرهم الحساب ثم العقاب اذن آية الشعراء توجه الشاعر المسلم بشكل عام، وليس فيها حط من شأن الشعر عامة. وقد ذكر ان شعراء المسلمين الثلاثة : عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت وكعب بن مالك توجهوا إلى الرسول الله وهم يبكون قالوا : قد علم الله حين انزل هذه الآية انا شعراء فتلا النبي ﷺ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . قال: أنتم ﴿ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) قال : أنتم ﴿ وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) وقد عدد الزمخشري الاغراض، والمعاني التي يمكن للشاعر المسلم ان يقول فيها، ويكون من الضرب الثاني الموعود بالجنة كأن يقول في توحيد الله والحكمة والموعظة

ب – الرسول ﷺ والشعر : الرسول ﷺ حامل رسالة الإسلام إلى العرب والناس جميعاً، فموقفه من الشعر هو موقف القرآن والإسلام بصورة عامة، ولا تخرج الأحاديث النبوية الشريفة عن المفهوم الإسلامي العام في النظرة إلى الإنسان، ومحاولة توجيهه الوجهة الخيرة البناءة. هكذا نجد في الأحاديث النبوية الشريفة أقو إلا تسير في إطار الآيات القرانية الكريمة السابقة إلى تصنيف الشعراء إلى صنفين : خير ملتزم بالدين والخلق القويم، ومنحرف لا يقدم فائدة دينية أو أخلاقية واذا كان بعضهم قد فهم ظاهر الآيات القرانية الكريمة أو قرأها مبتورة، واستنتج منها موقفاً متعنتاً من الشعر والشعراء، فإنَّ الأحاديث النبوية الكريمة قد تحمل على ظاهر معانيها، ويساء تفسيرها أيضاً مما يوجب المناقشة والتحليل. روي عن النبي ﷺ : لئن يمتلئ جوف احدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلأ شعراً) .

قد يفهم من هذا الحديث موقف غير مشجع للشعر والشعراء إلا ان مراجعته في كتب الصحاح تطلعنا على الظرف الذي قيل فيه. فقد ذكره البخاري في باب الأدب فيما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصرفه عن ذكر الله. وذكر الإمام أحمد أن شاعراً عرض للرسول ، فوصفه بالشيطان ثم قال الحديث هذان التعليقان البسيطان يوضحان أن قول الرسول ﷺ لم يكن مطلقاً على جميع الشعراء، وإنما أراد به نوعاً معيناً منهم، ولا بد أن يكون الشاعر الذي عرض للرسول قد أنشده شعراً يخالف مبادئ الإسلام أو يدعو الناس إلى محاربة الرسول ﷺ وقتاله. وقد فهم ابن رشيق أن تشبيه الرسول ﷺ للشعر بالقبح ليس عاماً، وإنما هو على من غلب الشعر على قلبه، وملك نفسه حتى شغله عن دينه واقامة فروضه، ومنعه عن ذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن الإسلام أما إذا صحت تتمة الحديث الشريف : (لئن يمتلأ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه، خير من ان يمتلأ شعراً قيل في هجائي) فإن هذه التتمة تدرج الحديث مع الآية الكريمة. والشعراء يتبعهم ...) ولا يحتاج الحديث فيها إلى تأويل أو تعمق في التفكير فالنهي يكون منصباً على الشعر الذي قيل في هجاء الرسول ﷺ، والذي هو بحد ذاته هجاء للاسلام والمسلمين معاد للدعوة الإسلامية وقيمها. وهذا ما يدرج ضمن الشعراء الغاوين في الآية الكريمة. وقد قيل ان السيدة عائشة رفضت هذه الرواية، وقالت : لم يحفظ أبو هريرة الحديث، إنما قال رسول الله ﷺ : لأن يمتلئ جوف احدكم . قيحاً ودماً، خير له من يمتلأ شعراً قيل في هجائي. وهناك قول له بشأن الشاعر امرئ القيس يفهم منه على الظاهر موقف قاس ازاء الشعراء خاصة، وشعراء ما قبل الإسلام عامة، وهو قوله ﷺ : امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار . أو أشعر الشعراء، وقائدهم إلى النار.

وفي رواية أخرى فيها تفصيل أكثر لحال هذا الشاعر في الدنيا والآخرة وهي : ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها، سئ في الآخرة، خامل فيها. يجئ يوم القيامة ومعه لواء الشعراء إلى النار.

وإذا اكتفينا بالرواية الأولى لكونها واردة في واحد من كتب الصحاح، واستبعدنا الروايتين الاخيرتين الواردتين في كتابين أدبيين فان وصف امرئ القيس هذا يجعل القارئ في حيرة قد تقوده إلى فكرة خاطئة عن مفهوم الإسلام للشعر ونظرته إلى كبار الشعراء فامرؤ القيس شاعر شمخ بشعره بين شعراء الجاهلية، ويصفه الرسول الكريم بأنه قائد الشعراء إلى النار، وتجد شعره شواهد يتمثل بها في كتب الشعر، وشواهد تمثل الأنموذج الفني في كتب الأب والبلاغة. هنا لابد من وقفة تأمل وتحليل، فالرسول ﷺ عربي بذوقه الرفيع وبلاغته التي جعلت أقواله، وأحاديثه أعلى نمط أدبي عرفته اللغة العربية بعد القرآن الكريم. فكيف يحط من شأن شعر امرئ القيس، ويجعله قائد الشعراء إلى النار ؟ لابد إذن أن يكون حكمه منصباً على جوانب معينة

من شعره، أعني بها الصور الوصفية الفاحشة في غزله التي تتنافى مع مبادئ الإسلام، ودعوته إلى العفة، والخلق القويم، وليس المراد به شعر الشاعر عامة، أو شخصه على الحقيقة، لأن الحديث الشريف فيه توجيه آخر الشعراء المسلمين ليسلكوا سبل الخير في أشعارهم. فمن كان على شاكلة امرئ القيس في شعره الماجن، أو غزله الفاحش يكون مصيره النار ولا يفهم منه أن امرأ القيس هنا حامل لواء الشعراء إلى النار على الحقيقة، لأنه عاش قبل الإسلام. والإسلام كما يقول الحديث النبوي الشريف (يجب ما قبله) أي يقطعه. على أنه يمكن ان يلمح في هذا الحديث الشريف موقف نقدي من جانب آخر يخص شعر امرئ القيس وتفضيله على شعراء عصره أو على الشعراء عامة دون تحديد الزمان أو مكان، فجعله قائدهم، وإن كان قائداً مؤدياً إلى النار. علق دعبل الخزاعي تعليقاً طريفاً، فهم من خلاله رأي الرسول ﷺ في تقديم شعر امرئ القيس من حيث القوة والجزالة قائلاً : (ولا يقود قوماً إلا أميرهم) وقد قال الخليل بن احمد الفراهيدي : كان الشعر احب إلى رسول الله ﷺ من كثير من الكلام. فالشعر جزء من حياة العرب، ووجودهم، ولا يمكن ان يهجروه في اى حال من الاحوال كما لا يمكن ان يدعو الرسول الله إلى مخالفة الطبيعة العربية والإنسانية لكون الشعر مظهراً من مظاهر الابداع الفكري الإنساني، وهو العربي الذي يعجب بالكلامالفصيح، ويهتز للشعر الجميل. وعلى هذا تكون أقوال الرسول ﷺ السابقة دائرة ضمن التوجيه العام للمهمة الشعرية التي هي جزء من النشاط الإنساني الذي أراد الرسول توجيه العرب المسلمين اليه وهو الدعوة إلى الخير، والعمل الصالح، وتجنب الردئ المسئ قولاً وفعلاً. لقد ذكر انه اعجب بكلام بليغ في قصة وقد تميم بقوله : إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة أو حكما أي ان البليغ يبلغ ببيانه ما يبلغه الساحر بلطافة حيلته في سحره. فاذا تذكرنا ان كلام الرسول ﷺ هذا قد قاله في رجل ذم رجلاً ومدحه في آن واحد، عرفنا اعجابه بالكلام البليغ والقول المبين الحسن، مما يؤكد كون الرسول ﷺ لم يمنع العرب من قول الشعر او انشاده أو سماعه.

وسنجد أنه عليه الصلاة والسلام قد اتخذ شعراء معروفين للذود عن العقيدة، وشجعهم وأثابهم، واستنشدهم وفي هذا يقول ابن رشيق (فلو أن الشعر حرام ما اتخذ النبي شعراء يثيبهم على الشعر ويأمرهم بعمله ويسمعه منه)